# عصر الدولة السعدية

(915ـ 1069هـ / 1510ـ 1658م)

## أ- التاريخ السياسي (ج2)

- **سياسات المنصور:**

-**أما داخليا؛ فضعف** سلطان الصلحاء في الميدان السياسي في عصره، رغم استمرارهم في نشاطهم الروحي. و**أحدث** عادات خاصة في الاحتفال بالمولد النبوي الذي أصبح فرصة لاجتماع الصلحاء والأولياء، في مراكش وغيرها في غاية الأبهة، حيث يخرج الصحافون بالشموع في جولة طويلة بالمدينة. واستطاع **القضاء** على أغلب الثورات ضده في أسرع وقت؛ على أنه مما أضعف ملكه توليته ولاية العهد لابنه محمد المأمون رغم فساده. ومن أخطائه أيضا **تقسيمه ملكه** بين أبنائه كما فعلت أم الأدارسة.

أما ماليا واقتصاديا؛ فقد حول ضريبة **النائبة** نقدا؛ وأقر الخراج؛ و**أحدث** عددا من المكوس التجارية؛ ووسع التعامل بعملة الذهب؛ و**احتكر** صناعة السكر التي عرفت نشاطا واسعا. ونما خزانة الدولة بكل ما استحدثه من ضوابط مالية واقتصدية. على أنه قد عرف المغرب في بعض سنيه **الغلاء** المفرط لارتفاع الضرائب وكثرتها، لذا رحب الناس بالثورات وآزروها. و**نشط العمران** في المدن الرئيسة، فبني قصر البديع بمراكش، وأقيمت جملة من القناطر خاصة على واديي سبو وأم الربيع. وأحدث **مصانع** جديدة للسكر بحاحا ومراكش وشيشاوة، وبنى مقبرة السعديين بمراكش، وعددا من الحصون والمعاقل بمدن مختلفة.

**وأما خارجيا؛** فقد **واجه** المنصور بحنكة على علوج بالجزائر الذي حاول غزوه بعد أن أسرع بإرسال وفد للباب العالي محملا بهدايا نفيسة (989هـ) فاستقرت العلاقات بينهما. وكانت له **اتصالات** مع أمراء مصر والحجاز، وعلمائها. و**سالم البرتغال** التي تخلت له عن أصيلا (أخلوها 1589م وتسلمها 1592م)، بعد أن خشي **فليب الثاني** ملك إسبانيا الذي ألحق البرتغال بملكه، وخشي من مساندة المنصور للمطالبين بعرشها؛ على أن أنظارهم كانت دائما متطلعة لمناء العرائش طامعة فيه. وأقام **علاقات** مع **إلزبت** ملكة بريطانيا، حتى أنهما اتفقا على غزو إسبانيا وتقاسمها. وتوافد التجار والرحالة الأنجليز بكثرة على المغرب، ونشطت التجارة بينهما. وكانت **المراسلات** بين المنصور

والملكة متواصلة مما يدلل على علاقات قوية. و**توافد** عليه بعض قناصل فرنسا، لكنها لم تتوثق علاقاتهما لما كان في فرنسا من حرب دينية بين الكاثوليك والبروتستانت.

**-خـــلف المنـــــصور:**

-حكم بعد المنصور ملوك ضعاف أقلقوا سلطان السعديين في البلاد، وعمت الفوضى والاضطراب، وكان سبب ذلك الرئيس تقسيم المنصور الملك بين أبنائه فتنافسوا على السلطان تنافس البغاة، ولم يسلم لأحدهم سلطانه منهم دون حرب طويلة.

- **زيـــدان بن المنـــصور** (1012-1037هـ/1603-1627): كان ذكيا ذا ثقافة دينية وأدبية، غير سوي السلوك. بويع بفاس وبويع أخوه أبو فارس عبد الله بمراكش. وتنازع الإخوة الملك وانضم إليهم محمد الشيخ المأمون المستعين بالإسبان، وبعد حروب انقسمت المملكة إلى فاسية بيد المأمون ومراكشية بيد زيدان. وزاد الأمر اضطرابا بظهور ثورات، منها:

- ثورة **ابن أبي محلى** (1022هـ/1613م) الصوفي مدعي المهدية، المستولي على سجلماسة و**درعة،** ثم مراكش، إلى أن أنقد جيشا من السوس -بتدبير الفقيه أبو زكريا **الحاحي**- الأمير زيدانا، وقتل في المعركة ابن أبي محلى (1022هـ).

- ثورة **أبو حسون السملالي** الظاهر بالسوس مع قبائل **جزولة،** واستولى على تارودانت، وحاربه الفقيه أبو زكريا الحاحي وانتصر عليه، وبعد وفاته (1035هـ) عاد فاستولى على منطقة السوس وسجلماسة ودرعة، واتخذ **إيليغ** بالسوس عاصمة له.

-ثم ملك **أبو مروان عبد الملك بن زيدان** (1037-1040هـ) وألحق فاسا، وثار عليه إخوته خاصة الوليد الذي دبر قتله. وخلفه على الملك **الوليد** (1040-1045هـ) الذي قتل خمسة عشر من إخوته وأبنائهم وأبناء عمه، واعتقل أخاه **محمد الشيخ الأ□غر** الذي خلفه بعد موته (1045-1064هـ)، واستفحل في عهده أمر الثوار؛ فاستولى **الدلائيون** على فاس، وتوسع سلطان **العياشي** على سلا والغرب، وظهر **العلويون**. وخلفه ابنه **العباس** (1064-1069هـ) آخر السعديين، الذي استولى على سلطانه بعد اغتياله أخواله **الشبانات،** وعليهم **عبد الكريم الشباني،** وملكوا مراكش ونواحيها مدة قبل مجيء العلويين.

- **مظاهر ضعف الدولة السعدية وسقوطها:**

لقد لعبت عوامل عدة في سقوط الدولة السعدية، منها:

- فشل **سياسة الملك؛** فقد أحدث المتوكل مشكلة وراثة العرش، ولجأ في حلها إلى التدخل النصراني. ورغم ذكاء المنصور وعظم أثره في التمكين للسعديين، إلا أنه اقترف خطأين قاتلين للملك، كان

أولهما توليته العهد أسوأ أبنائه، قضت الدولة بعده نصف عمرها في النزاع على العرش، ثم زاده سوءا تقسيمه المغرب على أولاده مما زاد في خلافهم ونزاعهم.

- تدخل **قادة الجيش** من غير الوطنيين في أمور الدولة وألاعيب السياسة؛ فكانت قيادته توكل إلى الأتراك وأشباههم، كالمملوك عجيب وجؤذر. وحوا الجيش كثرة من العناصر المسيحية المتعددة الأجناس، مما جرأ البعض على الاستعانة بالنصارى في حروبهم، وشاركوا في الكثير من اغتيالات الملوك، وكانوا مدبرين لها.
- الدور **الأجنبي** في إضعاف الدولة؛ ففي وقت كان التدخل الأجنبي عاملا في ظهور السعديين كان أيضا عاملا في تقويض دولتهم. بدأ ذلك بالتدخل الإسباني (فليب الثاني والثالث) الذين استولوا على العرائش والمعمورة، ولولا العياشي والدلائيون لكان خطرهم أعظم. وكذا كان حال التدخل العثماني، الذي وإن قل أحيانا إلا أنه كان حاسما في توطيد ملك الأخوين المنصور وعبد الملك، واكتفى العثمانيون بعد بالاعتراف الاسمي بالخلافة.
- **الحركات** الاستقلالية؛ الناتجة عن ضعف الملوك، وتفريطهم في سياسة الحزم، ومواجهة التدخل الأجنبي. مما أضعف هيبة الدولة وحد من مواردها وشتت شملها، وجرأ عليها كل مغامر. وكثرت منها الحركات الصوفية، التي حركتها غيرتها الدينية في أكثر الوقت على حمل السلاح، مع شدة ضعف الدولة في مواجهة المخاطر، ومنها حركة العياشي والدلائيين وثورات ابن أبي محلى وأبي حسون السملالي وغيرها.
- السياسة **المالية** للدولة؛ فقد أكثر السعديون من الضرائب والمكوس الخارجة عن الشرع والعرف، مما أثقل الرعية وجعلها مهيأة للثورة والاضطراب؛ فاتبعت كل منادي للحرب. وكانت فاسا أكثرها تحمسا لذلك؛ لما نال أهلها من الإلزامات، ووجهاءها من المصادرات، ومساهماتها في نفقات الحرب المتتابعة. وخلقت أزمات إقتصادية في المجتمع زادت من اضطرابه.
- نقص في **نظم الدولة**؛ من حيث وجود وزراء أكفاء قادرون على مواجهة المخاطر والأزمات بكفاءة، وتسيير أمور الدولة بنجاعة؛ فيحدثوا توازنا في نظام الدولة بين شدة الملوك وترفهم واختلال نظام الجيش بقيادته الأجنبية.
- شدة **بطش الملوك** السعديين بأفراد أسرتهم؛ مما سبب الضغائن المتينة بينهم؛ فكانت العائلة الحاكمة خليطا من النزاعات والثارات العائلية المستديمة؛ مع تدخل أمهات الأمراء في تولية أبنائهن الملك، مما زاد الضغائن بين أبناء أزواجهن.
- ورغم التنظيم العسكري **لجيوشهم**، إلا أنها كانت في الغالب غير كافية العدد، مع قلة العناصر الوطنية في قياداتها، وكثرة القيادة الأجنبية من تركية وغيرها.

- انقلاب **عصبية الدولة** السوسية (العصبية الإقليمية) من مؤيدة لها إلى منازعة لها، مع الثائر أبي حسون السملالي؛ ففقد السعديون داعمهم الأساسي بل باني ملكهم ومقيم جيشهم، والمنقذ لهم في أوقات الأزمات؛ بعد أن خف في ملوكهم حماسهم الديني الذي بنوا به دولتهم.
- لم تتكرر **نجاحات** الدولة الكبرى التي أمدتها بسمعة واستقرار سياسي متين؛ إذ لم يفد الملوك من ذلك إلا المنصور، فاستعان بانتصار وادي المخازن في حملته السودانية، والتي سرعان ما ستتبخر نتائجها بعد وفاته بتنازع أولاده.
- (المنصور) أما ماليا واقتصاديا؛ فقد حول ضريبة **النائبة** نقدا؛ وأقر الخراج؛ و**أحدث** عددا من المكوس التج لارتفاع الضرائب وكثرتها، لذا رحب الناس بالثورات وآزروها. و**نشط العمران** في المدن الرئيسة، فبني قصر البديع بمراكش، وأقيمت جملة من القناطر خاصة على واديي سبو وأم الربيع. وأحدث **مصانع** جديدة للسكر بحاحا ومراكش وشيشاوة، وبنى مقبرة السعديين بمراكش، وعددا من الحصون والمعاقل بمدن مختلفة.